فؤاد أبو حطب :
الوفاء في مشاعر الفراق والقدوة في العلم والأخلاق

د. طلعت الحامولى * - د. زينب عبد العليم بدوى **

كانت البداية فى عام ١٩٨٠م تلك التى اقتربنا فيها من شخصية عالمنا الجليل، وتلت هذه البداية بدايات عديدة ، استمرت حتى عام ١٩٩٢م قبل سفرنا إلى بلد الإعارة ، وعبرت هذه البدايات عن مواقف واقعية ذات دلالة فى الحياة اليومية ، اتخذها العالم الجليل ، وبرزت من خلالها سمات شخصيته الرائعة ، وقيمه النبيلة وتعلمنا فى ثناياها من إنجازاته العلمية المتجددة وإسهاماته المبدعة الخلاقة ، وكشفت بوضوح وجلاء عن مكنون شخصية عالمنا العظيم ، فى ضوء كونه أحد الشوامخ اللذين احتلوا قمة الصفوة من العلماء فى مجال علم النفس . ويبدو التميز والتفرد العلمى فى شخصية العالم الجليل جلياً من إسهاماته العلمية التى يصعب حصرها ، مما جعله قوة دافعة للتقدم العلمى فى مجاله ، ومصدراً متجدداً لا ينضب معينه من العلم ، يرتوى منه الظمآنون إلى المعرفة العلمية الجادة . وقد ساعدت بنية الشخصية لدى العالم الجليل ؛ على توجيه سلوكيات البحث العلمى ، بما يتفق والقيم الأخلاقية والمبادئ النبيلة السامية الراسخة ، مما ولد ثقة لدى الباحثين عند إرتيادهم آفاق المستقبل ، وبث فيهم الوعى بحقيقة أن العلم دون خلق عماء وخواء .

ويبدو أن طبيعة شخصية هذا العالم الجليل فى جناحيها الأخلاقى والعلمى ، جعلته قدوة التى يجب الاحتذاء بها ، والنموذج الذى ينبغى الاقتداء به . وأضحى فؤاد أبو حطب رمزاً من رموز القمة فى الخلق والعلم داخل المجتمع النفسى . يتيه به مريدوه من الأوفياء . ولا يدنو منه إلا ذو خلق ، يسعى إلى العلم .

وينأى عنه من هو دون ذلك . يتكالب عليه من يتخذون العلم طريقاً وسنداً ويستلهمون من القيم والمبادئ الأخلاقية توجيهاً وعوناً .

ويبدو أن ما تكون لدينا من انطباعات راسخة عن الطابع الأخلاقى والعلمى فى شخصية فؤاد أبو حطب قد تبلور لدى الكثيرين ممن تعاملوا معه ، وترسخ فى

(*) أستاذ مساعد علم النفس التعليمي - كلية التربية - جامعة عين شمس .
(**) مدرس علم التعليمى - كلية التربية بالإسماعيلية - جامعة قناة السويس .

عقول ومشاعر أساتذته ، وزملائه ، وتلاميذه ومحبيه ، مما يدل على تجسد ملامح شخصية العالم فى شخصية فؤاد أبو حطب .

وما تبلور فى العقول والمشاعر عن شخصية العالم الجليل ، جعل الجميع يصدمون لفراقه ، عندما انتقل الفقيد العظيم إلى رحمة الله تعالى ، فى نفس الوقت الذى إرتضوا فيه قضاء الله وقدره ، حيث أن حقيقة الموت كحتمية إلهية تقتضى أن نؤمن بقضاء الله فهو القائل : «نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين» وقال تعالى : «كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة» وقال تعالى : الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها» ولم يملك الجميع أمام قضاء الله إلا الدعوة للفقيد الجليل ، أن يتغمده الله بواسع رحمته ومغفرته بمشيئة الله .

هذا عن الإيمان بقضاء الله ، أما عن مشاعرنا الشخصية فى هذا الموقف الرهيب ، فلا يمكن التعبير عنها مهما بلغنا من فصاحة اللسان وبلاغة البيان ففوران المشاعر كبل الكلمات ، وطغيان الأحاسيس بعثر العبارات ، وتزاحم الانفعالات لجلج اللسان ، فالكلمات عاجزة ، والعبارات مقيدة ، والمشاعر متألمة ، والأحاسيس تموج متحيرة زاعقة على رحيل العملاق فى الخلق والعلم ، الأستاذ فى الإنسانية والوفاء ، المميز فى التواضع والشموخ ، القدوة فى موقف الحياة بحلوها ومرها ؛ خيرها وشرها، فزئير الدماء يدوى فى الشرايين ، ونبضات القلب مازالت تزفر فى أنين مكتوم وأسى مكلوم وكمد مهموم على رحيل أحد الذين احتلوا قمة الصفوة فى مجاله، فالقلب يحزن والعين تدمع ولا نقول إلا ما يرضى الله .

ولكن ... هل نترك العنان للأحزان؟ لا نعتقد أن الفقيد كان يشجيه أن نستسلم لأحزاننا ، وإنما يسعده أن نتخذ من أخلاقياته وعلمه قدوة يحتذى بها فى طريق العلم سعياً نحو تقدم ورفاهية بلدنا الحبيب مصر ، فالعملاق تاريخه ناصع ومسيرته زاخرة عامرة بكل ما هو مفيد لبلده ، وأسرته وتلاميذه ، ومحبيه ، يتيه به القاصى والدانى فى مصر العظيمة . ومما يسعدنا نحن مريدوه ، أن بشائر الفقيد العظيم بعد انتقاله إلى رحمة الله ، تحمل الخير الكثير بمشيئة الله ، فالولد لله الحمد صالح يدعو له ، بارك الله فيهما ، وعلمه من الله المنة ينتفع به ، فهل هناك ما هو أفضل من ذلك تكريما من الله ، فلتنام يا عالمنا الجليل فى مضجعك هادئ البال قرير العين هنيئا لك نفسك المطمئنة بمشيئة الله مصداقاً لقوله تعالى : «يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وإدخلى جنتى» .

ولا نملك نحن مريدوه إلا أن ندعو له ، أن تكون منزلته جنات الفردوس جزاءً على ما قدمه من خير وحب ، علم وعمل ، وفاءاً وإخلاصاً تحقيقاً لقوله تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا» صدق الله العظيم .